القيم التربوية عند جون ديوي

م.د. نسرين خليل حسين

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

nasrenKhalel@gmail.com

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٠/٣/٨/٦١

تاريخ القبــول : ٢٠٢٠/٧/١٢/١٤١

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلص :

جون ديوي هو أحد أهم فلاسفة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين على أكثر من صعيد ، على المستوى الفلسفي كان ديوي من مؤسسي الفلسفة البراجماتية الامريكية التي أتت رداً على الفلسفة المثالية الاوربية ، أما على الصعيد التربوي فيعد ديوي من المؤسسين لفلسفة التربية في التربية الحديث والمعاصرة وذلك لما قدمه من نظريات وآراء تربوية جديدة ، أما القيم التربوية عند ديوي هي أحد المجالات الاساسية في التربية لكونها مصادر لاشتقاق الاهداف التربوية التي تسعى التربية الى تحقيقها ومصدراً لتعديل السلوك الانساني ،وعلى ذلك جاء بحثنا هدفاً لعرض آراء وموقف ديوي من القيم التربوية وللوصول الى الهدف المطلوب سار البحث على النحو التالي:

ففي المبحث الاول خُصص عن أهم آراء ديوي التربوية وموقفه من القيم ، أما المبحث الثاني عُني بدراسة دور الفكرة والعمل في تكوين القيم التربوية ، أما المبحث الثالث فجاء عن القيم بوصفها منفعة خبرة.

الكلمات المفتاحية: القيم، التربية، ديوي

The Educational Values of John Dewey

Lecturer Dr: Nesren K. Hussien
University of Mustansirya faculty of Education
nasrenKhalel@gmail.com

Abstract

John Dewey was one of the most influential philosophers in the second half of the nineteenth century and the first half of the twentieth century in many domains. The first domain is the philosophical one as Dewey was the founder of the philosophy of pragmatism which came in response to the idealism. For the educational field, according to his new educational theories and views, he is considered as one of the founders of the educational philosophy in modern and contemporary education. The most significant aspects in education are Dewey's educational values as it is the source of the pedagogical goals that the ministry of education strive to achieve. Also, it is the source of human behaviour modification.

Our research aims to display the educational opinions and attitudes of John Dewey and to achieve that we have three topics. The first topic is about Dewey's most significant educational opinions and values. The second one is a study of the role of the idea and action that forming educational values. The third topic is about describing the values as a beneficial experience.

key words: the values, **education**, **Dewey**

المقدمة

تعريف ديوي

ولد ديوي في ١٨٥٩/١٠/١٠ بمدينة برلنجتون بولاية فرمونت بالولايات المتحدة من أسرة ميسورة الحال كان أبوه بقالاً لم يتلق الا تعليماً مدرسياً بسيطاً . أما أمهُ ((لوسينا)) فقد كانت اعرق نسباً واغزر علماً من والده . أمضى جون ديوي تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة برلنجتون(يونس ، ٢٠٠٥ ، ص٢٤٤) (yunus , 2005. P244).

ثم ألتحق بجامعة "فرمونت" في سنة ١٨٧٥ عندما كان في الخامسة عشرة من عمره حيث حصل على أعلى الدرجات التي اعطيت في تلك الجامعة في الفلسفة وعلى الرغم من اهتمامه بالفلسفة أثناء دراسته في تلك الجامعة فإنه كان متردداً غير مستقر الاتجاه في الدراسة (بدوي، ١٤٢٩، ص٤٩٩) (Badawi, 1429, p449).

وبعد حصوله على درجة البكالوريوس في الجامعة شغل وظيفة مدرس في أحدى المدارس الثانوية في ولاية بنسلفانيا سنة ١٨٧٩ . واكمل ديوي دراساته العليا في (جامعة جونز هوبكنز) حيث حصل على الدكتوراه على يد (جورج سيلفستر موريس) الذي دَّرس له كانط وهيجل بأستفاضه ودقة ، وجعله يهتم بكتابات (إدوارد كيرد) و (جون كيرد) و (توماس هل جرين) وغيره من الهجيلين الجدد الأنجليز الآخرين في ذلك الوقت ،وكتب ديوي كتبه الاولى عن علم النفس وليبنتس ،والاخلاق من وجهة نظره الخاصة.(رايت،٢٠١٠، ص٥٠٥)(wright,2010 , p505).

حصل على الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٨٨٤ وكان موضوعه ((علم النفس عند كانت)) ولم يلبث ديوي أن حصل على درجة الاستاذية بجامعة متشجن حيث أصبح زميلاً لاستاذه موريس ،وأستمر ديوي ((يتنسم هواءاً هيجلياً صرفاً ،ولكنه راح ينظر الى الفلسفة الهيجلية كلها على أنها مجرد (تجريبية موضوعية)) لا تهدف إلا الى الكشف عن دور (الفكر البشري) بوصفه (اداة ترابط) او (شبكة معلومات) .(ابراهيم،١٩٦٨،ص٦٢) (Birham. 1968 .p 26) واثناء هذه الفترة بدء ديوي الانسلاخ عن المثالية والانشغال بالمسائل المنطقية والسيكولوجية والاخلاقية ، في عام ١٨٨٧ كتابه (علم النفس).

ونشر في عام ١٨٩١ (مجمل نظرية نقدية في الاخلاق ونشر في عام ١٨٩٤ ((دراسة الاخلاق مجمل)) (كوبلستون، ٢٠٠٩، ص١٦٧) (cobelston , 2009, p 167).

وعُين مدرساً للفلسفة في جامعة مينيسوتا ، الأمريكية في العامين ١٨٨٨–١٨٨٩ . ثم انتقل الى ميشيغان في الاعوام ١٨٨٩–١٩٩٤ وعين وقتها رئيساً لقسم الفلسفة . ثم انتقل الى شيكاغوا في عام ١٨٩٤ ولغاية عام ١٩٠٤ (بسيوني، ٢٠١٦،ص١٦٧) (Basyuni, 2016,p 167).

وتولى في الفترة الزمنية التي انتقل الى شيكاغو عمادة التربية في جامعة شيكاغوا ،وفي هذه الجامعة برزت ثورته التربوية المسماه (التربية الجديدة او المتجددة)) فأوجد مدرسة اجرى عليها اختيارات لاثبات

نظرياته الجديدة وتأكيد صحتها ، ولم تلق اختباراته هذه ترحيباً من إدارة الجامعة . وهكذا قدم استقالته عام ١٩٠٤(ديوي، ٢٠٠١،ص٧) (Dewey,2001,p7).

وفي نفس السنة ظهر كتابة " الطفل والمنهج " وفيه " يعلو صياحه ضد الطريقة التي تقدم بها المعلومات للاطفال ومضمونها ، فهو يرفض تقسيم عالم الطفل لأجزاء لاربط بيها فالطفل والمنهج طرفان لعملية واحدة ؟ (احمد، ب، ت، ص٤٩٢) (Ahmad, p492).

وشملت مؤلفات ديوي في هذه الفترة " عقيدتي التربوية ١٨٩٧ ،والمدرسة والمجتمع ١٩٠٠ ، دراسات في النظرية المنطقية ١٩٠٣ ،والشروط المنطقية المعالجة العلمية للأخلاق ١٩٠٣ " (كوبلستون،٢٠٠٩،ص٥٠٩) (cobelston, 2009,p 509).

فبعد ما ترك ديوي شيكاغو ذهب الى نيويورك عام ١٩٠٤ وعُين استاذاً للفلسفة في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا حتى أحيل الى المعاش او التقاعد سنة ١٩٣٠ ،وقد قدم لنا خلال السنوات التي قصناها بجامعة كولومبيا اروع واغزر ما كتبه في الفلسفة والتربية وانتج اعمالاً ذات شهرة عالمية وتضمنت " الأخلاق عام ١٩٠٨ وكيف نفكر عام ١٩١٠ . وتأثير دارون على الفكر المعاصر ومقالات اخرى عام ١٩١٠ ،ومدارس الغد عام ١٩١٥ ،والديمقراطية والتربية ١٩١٦ ومقالات في المنطق التجريبي عام ١٩١٦ ،وتجديد في الفلسفة عام ١٩٢٠ والطبيعة البشرية والسلوك عام ١٩٢٢ والتجربة والطبيعة عام ١٩٢٥ والبحث عن اليقين عام ١٩٢٩ (كوبلستون،٢٠٠٩،ص٥٠٩)(cobelston, 2009,p 509).

ظل ديوي بعد التقاعد "عضواً نشيطاً في اتحاد المعلمين في نيويورك ولما غدا الاتحاد تحت سيطرة الشيوعيين ، وكان أحد مؤسسي اتحاد الحريات المدينة الأمريكية واتحاد الاساتذة الجامعيين الأمريكي " (ديوي،٢٠٠١،ص٨) (Dewey,2001,p8).

أما بالنسبة للمؤلفات المتأخرة فهي " الفن خبره" عام ١٩٣٤ ،و" الايمان المشترك " عام ١٩٣٤ و"التجربة والتربية عام ١٩٣٨ ، والمنطق : نظرية البحث عام ١٩٣٨ و " نظرية القيمة " عام ١٩٣٩ ،والتربية اليوم عام ١٩٤٠ ، و"مشكلات البشر" عام ١٩٤٦ ، و " المعرفة وما يعُرف" عام ١٩٤٩" (كوبلستون،٢٠٠٩،ص٥٠٩)(cobelston, 2009,p 509).

وتعدى تأثير ديوي عن حدود امريكا الى العالم فترجمت كتبه للغات كثيرة ،وايضاً استشارته الحكومة الروسية عقب ثورتها ليصنع نظاماً تعليمياً على أسس تقدمية ، وزار اليابان والصين وتركيا والمكسيك بصفة محاضر تربوي للاستفادة من اراءه التربوية ، وظل ديوي نشيطاً وحياته تعج بالحركة وفرت الانتاج والعطاء حتى وفاته سنة ١٩٥٢.

المبحث الأول

أهم آراء ديوي التربوية وموقفه من القيم

أولاً : أهم آراء ديوي التربوية:

عُرف ديوي عالماً في مجال التربية أكثر من مجال الفلسفة وقد قدم آراءه التربوية في مؤلفات عديدة قد ذكرناها سابقاً وأن اهتمامه بالتربية وصل ذروته حتى أنه عرف الفلسفة أنها " النظرية العامة للتربية " (ديوي، ١٩٥٤،ص٣٤٠)(Dewey,1954,p340). فالتربية عند ديوي " الحياة بكاملها واراد من الفلسفة ان ترسم اهداف التربية وتنفذ مناهجها وطرائق التدريس (رحيم،١٩٧٧،ص٥) (Raheem,1977,p5).

ومن أهم أراءه التربوية :

١. هاجم ديوي الافكار او التصور او النظرية السائد في المدارس في أواخر القرن التاسع عشر القائلة في آن " الطفل كائن سلبي ومهمة التربية والتعليم هي فرض المعارف في ذهنه" (بدوي،١٤٢٩ه،ص٥٠٢)(Badawi, 1422,p502) . وهذه الافكار ستجعل من الطالب مجرد آلة تستقبل المعلومات وتحفظها دون ان يكون للطالب أي نشاط أو فاعلية ،والتربية ليست شيئاً نمليه على الاطفال (أملاءاً على أنها عملية نمو لتلك القدرات التي خلقها الله فيهم . وهاجم ايضاً النظرية الجديدة في أوربا والمضادة للرأي السابق والقائمة على اساس " التمجيد العاطفي للطفل ، فكانت تدعو الى ترك الطفل يتلفظ ويختار بنفسه ما يهوى من معلومات ودراسات " (بدوي،١٤٢٩ه،ص٥٠٢) (Badawi, 1422,p502).

يرى ديوي أن النظريتين قائمتا على اساس فاسد و خاطيء فالنظرية الاولى " أفرطت في الاستهانة بذكاء الطفل الفطري والثانية غفلت عن أن الطفل لايزال في دور غير ناضج ، ومن ثم رآى ديوي أن التربية ينبغي أن تتولى الانتقال بالطفل والبالغ من تجربة ناضجة الى تجربة انضج قائمة على ذكاء الطفل أو البالغ ومهاراته " (ديوي،١٩٥٤، ص٣٥٣) (Dewey,1954, p 353).

٢. يرى ديوي بأهمية وحدة الطفل الجسمية والعقلية وهذا الموضوع التربوي قد نال أهتمامه ، ذهب ديوي الى أن " النمو العقلي السليم يعتمد اعتماداً مباشراً على استخدام العضلات والحواس استخداماً صحيحاً"(ديوي، ١٩٥٤،ص٣٥٣) (Dewey, 1954, p 353)، وعقد ديوي صلة وثيقة بين النمو الفكري بالنمو الجسمي بقوله : " من الخطأ القول أن التفكير الحقيقي يمكن أن ينمو ويتطور بعيداً عن الجسم وبمعزل عنه ، غير أن هذه الحقيقة لا تكفي وينبغي ان نضيف اليها حقيقة أخرى ، هي أن التركيب الجسماني الجيد السليم هو الذي يسير عمل العقل فيصبح هذا العمل صحيحاً يسير في الطريق السليم ايضاً " (الشمري، ٢٠٠٨،ص٢٧٠)(Alshimar, 2008, p 270).

٣. وايضاً من أهم اراءه ديوي في التربية المبدأ القائل بأقامة علاقة بين التعليم النظري والتعليم المهني والعمل فيقول في هذا المنطق " لابد من اعادة التخطيط التعليمي التربوي ينبغي أن يسير في طريق وسط بين طرفين احدهما ذلك التعلم الموروث الذي يعتمد على الكتب والاخر هو ذلك اللون الضيق الذي نسميه بالتربية العملية" (الشمري، ٢٠٠٨،ص٢٥٠) (Alshimar, 2008, p 275).

وهنا تنحو تربية ديوي الى تربية ترتكز على التعليم من خلال العمل والعمل اليدوي ، حل المشاكل بطريقة سيكولوجية دون جرح مشاعر الطلاب وأن المدرسة هي مختبر وليس قاعة محاضرة.

٤. أهتم ديوي بربط المدرسة بالمجتمع ، بالرغم أن هذا الرأي ليس بجديد في التربية الا أنه اكد عليها من جديد واعتبارها من أهم اراءه التربية التي يجب ان تطبق و وضح "أن المدرسة جزء لا يتجزء من المجتمع"(ديوي، ١٩٦٤، ص١٦) (Dewey, 1964, p16). والمدرسة هي اولاً مؤسسة اجتماعية ،والتربية في اساسها عملية اجتماعية ، فالمدرسة " صورة الحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائط التي تهيء الطفل الى المشاركة في ميراث الجنس ، والى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية (احمد، ١٩٧٧،ص٤٤٩) (Ahmad, 1977,p449).

وحدد ديوي وظيفة المدرسة هي " إعداد الفرد عن طريق الخبرة ليكون عضواً اجتماعياً عاملاً على تطوير بيئته . فالمدرسة هي البيئة التي تعد الطفل لفهم الحياة المعقدة التي سيعيش فيها ومن واجبها أن تهيء للفرد بيئة إجتماعية بسيطة خالية من الشوائب ومظاهر التفرقة بين المذاهب والاجناس . والمدرسة ايضاً وسيلة لتغير المجتمع وليست مجرد اداة لإعداد التلاميذ للحياة في المجتمع "(يونس،٢٠٠٥،ص٢٤٨)(yunus, 2005, p248).

و دعى ديوي الى الربط بين التربية بالمجتمع بشكل يحقق " أن تكون المدرسة اداة مهمة من ادوات المحافظة على قيم المجتمع وتطويره من جهة وان تهيء المجتمع للمدرسة لان تربي الاجيال الجديدة بحيث يحققون للمجتمع الاستقرار والتطور من جهة أخرى (ناصر،١٩٧٧،ص٤٤٩)(Nasir, 1977,p 449).

٥. ربط بين التربية والديمقراطية فيقول في هذا المنطلق " فليست المجتمعية الديمقراطية مجرد شكل للحكومة ، وانما هي في اساسها اسلوب من الحياة المجتمع والخبرة المشتركة المتبادلة (ناصر،١٩٧٧،ص٥٢٤)(Nasir 1977,p).

قلنا أن التربية هي عملية اجتماعية ، أذن فهنالك أنواع كثيرة من المجتمعات بناءاً على الصرح التربوي الخاص لها ، فالمعيار الذي تقاس به قيمة أي شكل من اشكال الحياة الاجتماعية في الدول لدى ديوي ، تقوم على نقطتان : أولهما " مدى اشتراك جميع أفراد الجامعة في مصالها " وثانيها مبلغ الحرية والكمال اللذين تتبادل بهما الجماعة العمل مع غيرها من الجماعات (ناصر،١٩٧٧،ص٥٢٤) (Nasir, 1977,p).

اذن فالمجتمع الغير مرغوب هو الذي يضع الحواجز لتقييد حريات افراد المجتمع في نقل الخبرات وتبادلها ، أما المجتمع الديمقراطي هو المجتمع الذي يتمتع " وبمقدار ما يعُده من العدوة لاشتراك جميع اعضائه في خبراته على قدم المساواة وبمقدار ما يكفل لمؤسساته من المرونة والتكيف بتفاعل صور الحياة الاجتماعية المختلفة بعضها مع البعض ولابد أن يكون لمثل هذا المجتمع نوع من التربية يغرس في افراده روح الاهتمام الشخصي بالعلاقات والسيطرة الاجتماعية ،ويكون فيهم عادات في التفكير من شأنها أن تحدث تغيرات في المجتمع دون الاخلال به " (ناصر،١٩٧٧،ص٥٢٤) (Nasir, 1977,p).

اخيراً وليس اخراً وضع ديوي شعاراً لمذهبه التربوي (تعلم بأن تعمل) (Learnby Doing) بيد أن لم يقصد بها صرف التربية والتعليم عن التزويد بالعلوم والمعارف ، بل لفت الانتباه الى هذه الواقعة وهي " ان الطفل مخلوق مولع بالنشاط ، محب للاستطلاع والاستكشاف "(بدوي،١٤٢٩،ص٥٠٢)(Badawi, 1429, p502). والطفل ليس قابلاً

للتشكيل كما يشاء المربي ، وليست استعداته ومواهبه ثابته ومحددة كذلك بل كما قال ارسطو قبل وظيفة التربية هي تشجيع العادات والاستعدادات التي تكون الذكاء " (ناصر،١٩٧٧،ص٥٢٤)(Nasir, 1977,p).

ثانياً: موقف ديوي من القيم

القيم في ضوء فلسفة ديوي البراجماتية أمر نسبي تتوقف على الظروف والافراد وخبراتهم في الحكم على القيم لا تختلف عن الحكم على اي شيء آخر من حيث اعتماده على الحقائق وبما أن الحقائق أمر نسبي وتختلف من ظرف لأخر أو من خبرة لأخرى ، فعليه القيم أمر نسبي ايضاً وتختلف من ظرف لآخر أو من خبره لأخرى ، فالقيم عند دوي ، "تخضع للتجربة التي من خلالها يتم الاختيار ،ونتيجة لذلك لأن احكام الناس ونظراتهم ورغباتهم الى القيم متغيرة ، فقيمة اي شيء تكمن في ما يقدمه من منفعة أو ما يشبع من حاجة ملحة " (الحياري،١٩٩٤،ص٢٩)(ALHayari, 1994,p29).

وبذلك عارض ديوي بشدة أي تصور للقيم على أنها مطلقة أو أزلية والتي اعترف معظم فلاسفة اليونان والكثير من فلاسفة المحدثين والتي توصي بالسلوك الاخلاقي الصائب في كل زمان لا يتغير مهما تغير الزمان والمكان اما ديوي فالقيم خاضعة للتعديل باستمرار وإعادة البناء في مجرى التفكير التأملي بالرجوع الى الظروف الاجتماعية والمعرفة العلمية المتزايدة "(رايت،٢٠١٠،ص٥٠٢)(wright, 2010, p 502).

وكانت نظرة ديوي للقيم المطلقة بأنها : " سلبت من الانسان إرادته وبالتالي حريته وجعلته يدور في عجلة الزمان لا حول له ولا قوة وما عليه إلا أن يستقبل هذه الأوامر الصلبة ويتحرك في نطاقها دون مناقشة او تفسير او تحليل في حين أن شرط استمرار القيم وفاعليتها ، إنما يتمثل في نوعها من الفرد وتفاعلاته مع الجماعة وبرويه وتدبر ودون ضغط أو إلزام " (احمد،١٩٨٣،ص٧) (Ahmed,1983, p7).

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن ديوي لا يؤمن بوجود قيم مطلقة لأنه لا يومن بقيم الحق والخير والجمال ،ويعتقد ان القيم من صنع الانسان وهو " الذي يخلق قيمة خاصة وان هذه القيم تتغير بتغير الزمان والمكان ، فالانسان هو الذي يخلق الجمال من خلال التجربة"(حموده،ب، ت،ص١١٤،١١٥) (Hamooda, p114, p115).

أذن القيم جزءاً لا يتجزأ من طبيعة العالم الخارجي نفسه بحيث " يجيء الانسان فيدركها ثم يعمل على تحقيقها لتكون له وسائل يوائم بها بين نفسه وبين العالم الطبيعي أو المجتمع الذي يعيش فيه "(محمود،١٩٥٦،ص١٦٦-ص١٦٧) (Mahmod, 1956,p166-p167).

رفض ديوي الفكرة المطلقة للقيم وانها ثابته لا تتغير ، الا أنه لم تكن لديه ادنى نية التقليل من شأن القيم ، أو أن ينكرها وألزمته نزعته الطبيعية التأكيد على أن "القيم توجد ، بمعنى ما ، داخل الطبيعة ،وأن تقدم في المعرفة العلمية لا يشكل تهديداً أياً كان لحقبة القيمة . لماذا لا ننتقل لنستخدم مكاسبنا في العلم كي نحسن أحكامنا عن القيم ،وننظم افعالنا حتى نجعل القيم أكثر أماناً وتشارك في الوجود بصورة أكثر اتساعاً "(كوبلستون،٢٠٠٩،ص٥١٩) (cobelston, 2009,p519).

ورفض ديوي رد المثل والمبادئ الى سلطة خارجية ، فهي عنده ليست من صنع الفلاسفة كما قال المثاليون ولا هي وليدة اجماع الناس بعضهم ببعض كما قال الوضعيون ولا هي من وحي السماء كما يقول رجال الدين وإنما تنشأ المثل العليا نتيجة لظروف الانسان تنشأ المثل العليا نتيجة لظروف الانسان تنبعث من محيطة وتهدف الى تغيير حياته وهي تتغير وفقاً للظروف لأنها مجرد ادوات يستخدمها الانسان لخدمة حياته ، اذن لم يسع لديوي إلا أن تكون فلسفته

داعية الى تغيير القيم لان " الحياة التي احاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير"(محمود،١٩٥٦،ص١٦٤)(Mahmod, 1956,p164).

وبذلك اختلف ديوي عن الفلسفات التقليدية بأنه جعل القيم تتغير مع تغير الظروف العلمية ، فالحق على حسب رأي ديوي يصنع كالصحة والغنى والقوة في سياق الخبرة ،وينكر المعيار الثابت للسلوك ،ويرى لا يوجد هناك شيء حق أو خير الى الابد ، فالقديم يتغير تاركاً مكانه للجديد ،وما كان خيراً بالأمس قد لا يكون كذلك اليوم " (قنصوة،٢٠١٠،ص١٣٥) (Qunswa, 2010, p135).

ومبحث القيم لا يحتل مكاناً محدداً في مذهب ديوي " الوسيلي او الذرايعية " أو ما يسميه نظرية البحث او المثالية التجريبية أو النزعة الطبيعية الانسانية بل القيم عنده هي " الخيط الذي ينسج منه سائر مذهبه فالاخلاق عنده تتخذ طابعاً أكثر شمولاً واتساعاً مما تتخذه لدى النظرة التقليدية للآخلاق ، فهو يوحد بين القيم ،ولا فرق في نظرة بين خير الفكر وخير السلوك ، لأن لا فرق عنده بين النظر والعمل ، فالفاعلية الانسانية وحدة لا تتجزأ ،وهي نفها في كل تجربة إمام كل موقف ، فذلك هو محور الفلسفة بأسرها "(قنصوة،٢٠١٠،ص١٣٥) (Qunswa, 2010, p135).

وعلى ذلك رفض ديوي التفريق بين القيم على كونها غايات بحد ذاتها ،وقيم اخرى تكون كوسيلة لغايات ذاتية ،لأنه يعتبر غايات السلوك هي " تلك النتائج التي نتنبأ بها والتي تؤثر فيما نقوم به من تروٍ وتبصر ،وهي التي تسلم السلوك الى الرضا في النهاية بما تمده بالمثير المناسب للعمل الصريح ، فالغايات تنبع من العمل وتقوم بوظيفتها فيها ،وليست شيئاً واقعاً وراء الفاعلية التي تتجه بدورها إليها ،وهي ليست غايات بمعنى نهايات للعمل ، بل هي نهايات للتروي والتبصر ، أي هي نقط تحول في النشاط " (ديوي،١٩٦٣،ص٢٤١)(Dewey, 1963,p241).

ويرى ديوي ان القيم هي التي توجه سلوك الانسان في " هذه الحياة التي يعيشها في هذا العالم الواقعي وبذلك لا يشعر الانسان بأنه مشدود بين عالمين وبين نوعين مختلفين من القيم ،وتصبح حياته وحدة متكاملة ، وبذلك تتحد الوسائل والغايات في حياته وتصبح لهذه الوسائل قيمة سامية كتلك التي أضيفت على الغايات (النجيحي،١٩٩٢،١٥٨)(ALNijehi, 1992,p 158).

وهنا يحاول ديوي أن يتخلص من مفهوم مجال قيم تتميز عن عالم الواقع ، فالقيم ليست شيئاً معطى ،وإنما تتكون عن طريق فعل التقييم ، عن طريق حكم القيمة ،وهذا الحكم ليس حكماً يقول إن شيئاً ما " يشبع" لأن قول ذلك هو ببساطة صياغة قضية عن الواقع ، مثل القضية التي تقول إن شيئاً ما حلو أو أبيض صياغة حكم قيمة هو القول بأن شيئاً " مُشبع" بمعنى أنه يفي شروطاً يمكن تعيينها وتحديدها "(كوبلستون،٢٠٠٩،ص٥٣٢،ص٥٣٣) (cobelston, 2009, p532, p 533).

من خلال حديثاً يمكن القول أراد دوي معالجة مشكلة إعادة التوحيد والتعاون بين معتقدات الانسان عن العالم الذي يعيش فيه ،وبين معتقدات عن القيم والأغراض التي يجب أن توجه سلوكه.

كما شدد ديوي دعوته الى ضرورة اعتماد المنهج العلمي وتوسيع طرق البحث وتوجيهها نحو دراسة القيم وبتغير نظرتهم الى الغايات الاخلاقية فمهمه الاخلاق الصحيحة " ليس في اكتشاف المبادئ الأزلية ،ولكن دراسة طرق حل المشاكل الاخلاقية المحددة وفي اعتباره الهدف الاخلاقي للانسان هو النمو "(الشمري،٢٠٠٨،ص٢٢٧)(Alshimari,2008, p227)

وفلسفة القيم عند ديوي تصب في تصوره عن "النمو" فالنمو هو اساس المسؤولية الخلقية والحرية وقدرة الفرد أو المجتمع على النمو هو مقياس الخير ومعياره "(قنصوة، ٢٠١٠،ص١٤٧)(Qunswa, 2010, p147).

ومفهوم النمو هو اتصال التغيير واستمراره اي " دمج كل ما اكتسب قيمة اثناء الخبرة السابقة في العادات الجديدة والفروض والنظريات القائمة في الحاضر ،ويعني النمو بذلك تحقق ممكنات جديدة تنشأ في الخبرة " (قنصوة، ٢٠١٠،ص١٤٧) (Qunswa, 2010, p147).

اما الصفة المميزة لدوي في فلسفة القيم هي محاولته في استعمال منهج العلوم في التفكير في القيم الاخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها تفكيراً قد ينتهي الى تغييرها بما يناسب ظروف الحياة الحاضرة أو بعبارة أخرى اتخاذه من الفكر ذريعة للعمل نحو يحقق للانسان ما يبتغيه في مجتمع صناعي من أول نشأته ، لذلك اي حكم على اي قيمة " لا بد أن توضع على قاعدة من العلم أو من ثم يمكن اخضاعها للتحقق التجريبي من حل المشكلة التي تثيرها او تعرض لها "(قنصوة، ٢٠١٠،ص١٤٧) (Qunswa, 2010, p147).

والقيم لا توجد منعزلة مستقلة عن الواقع بل هي وسيلة لتنظيم جديد للواقع وإعادة تشكيل له يحقق به الانسان معاني منشودة (ديوي،١٩٧٠،ص٣٣٤)(Dewey 1970,p334).

اذن فالقيم اما أن تكون من خلق الانسان فيدركها ثم يعمل على تحقيقها وأن تكون من خلق الانسان يخلقها لتكون له وسائل ووسائط يوافق بها بين نفسه وبين العالم الذي يعيش فيه ، فالقيم لا توجد قبل وجود الانسان ووجود العالم ،وعلى ذلك نقول أن القيم لدى ديوي ذاتيه بأمتياز وليس موضوعية أي "أنها تعود لذات الشخص الذي يقيم الشيء أو الموقف ، فالقيمة الحقيقية تنبع من الموقف والخبرة ، فالصدق مثلاً قيمة مهمة ،ولكن بأستخدام الكذب قد ينجو الانسان من أيدي الأعداد، وينجو وطنه ومجتمعه "(الدوري،٢٠٠٩،ص١٩٥)(Alduri, 2009, p195).

وبناءاً على ذلك فأن ديوي لا يعتقد بوجود قوانين أو مقاييس للقيم انما تقاس بمقدار نتائجها من النفع والخير على " الفرد والمجتمع في الموقف الذي تطبق فيه ، ففي هذا الموقف يقوم الشخص بأشتقاق القيم من واقع خبرته بنفسه ويستخدم ذكائه وتفكيره في ذلك إذ يخير بين ما هو خير له ،وما هو شر حتى لا تتذبذب الاحكام والقيم وتصبح ذاتية فقط فأنهم يرون ضرورة أن تعتمد الأحكام التي تطلق على شيء ما ، على نتيجة التطبيق هذا الشيء، فالطاعة مثلاً مرغوب فيها بالجيش لكنها تصبح قيمة غير مرغوبة أحياناً مع الاولاد والتلاميذ لأنها لا تساعدهم على التفكير خاصة الطاعة العمياء " (االدوري،٢٠٠٩،ص١٩٥)(AlDuri, 2009, p195) . اذن فالقيمة لدى ديوي ذاتية وليس موضوعية وتعود لذات الشخ

المبحث الثاني

دور الفكرة والعمل في تكوين القيم التربوية

كان اساس عمل ديوي في المجال التربوي هو الربط بين الفكرة والعمل أو النظرية والتطبيق ، فأي فصل بين ما يتعلمه الطفل في المدرسة من افكار ودراسات نظرية وبين عمله الذي يمارسه في نشاطه اليومي دائماً سيجعل من الطفل كيان مفكك منقسم ومتشتت الاراء والافكار ،وعلى ذلك نقل ديوي الفلسفات التربوية السابقة التي تقوم على عزل الدراسات المدرسية عن الوقاع الاجتماعي وابعادها عن البيئة التي يعيش فيها فيخرج الطفل من المدرسة ليس له القدرة الكفاية على تجاوز الامور فأكد ديوي على ربط الصلة بين القيم الفكرية والاخلاقية والجمالية النظرية بالواقع العملي الذي يعيشه وجعل المدرسة مرتبطة بالمجتمع لسد الفجوة بين الطفل وبيئته فالبيئة الاجتماعية تعلم الطفل ثلاثة أمور هي : " اللغة واساليب الكلام وآداب السلوك وموازين الاخلاق والذوق السليم ومعايير الجمال(الاهوائي،١٩٥٩،ص٤٥) (AL Ahwani,1959,p45).

وعزل الذات عن بيئة الطبيعة والاجتماعية عزل الشخصية عن اسلوك ، وفصل الدوافع عن الافعال الحقيقية سيؤدي الى وجود عاملين عالم مثالي وعالم واقعي" الى ان يكون هناك عالميان من القيم " عالم القيم العليا الخاصة بالفنون الانسانية الحقة وعالم القيم التقليدية المتعارف عليها والتي تسمى قيم الفنون الدنيا وهذا النوع الثاني من القيم لا يزعم أحد إمكان الحصول عليه دون معرفة عملية محدودة وتقدير هذا النوع من القيم يقاس بالمشقة التي تعانيها في توجيه شروط حدوثها . أما النوع الأول من القيم فهي قيم لا يستطيع أي مفكر يستعمل عقله أن يشك في وجودها إذ أن وجودها ووضوحها لاشك فيه عن طريق الوحي أو الضمير أو تعليم المعلمين " .(النجيحي،١٩٩٢،ص١٥٩)(Al Ngijehi,1992,p159)

أذن للبيئة دور في تكوين القيم ، لذلك يجب علينا " وضع الطفل في بيئة تتغيرها حتى تؤتى ثمارها وهذه البيئة المتخيرة هي المدرسة التي يعد الطفل لفهم الحضارة المعقدة التي سيعيش فيها وتطيعه الى الخير وتبرز محاسن المجتمع وتوحد بين الطوائف الاجتماعية المختلفة وتصهر افرادها في بوتقة واحدة ".(الاهوائي،١٩٧٠،ص٤٥)(Al Ahwani,1970,p45)

فأكد ديوي على دور المدرسة في غرس القيم بداخل الطفل فيقول " يلزم أن نجعل في كل مدرسة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة او حياة اجتماعية في بدايتها فاعله بانواع مهنها التي تعكس حياة مجتمع أكبر ".(ديوي،١٩٦٤،ص٥٠)(Dewey,1964, p50)

ولكن ذلك فأن المدرسة أثر عميق في تكوين المعايير الخلقية والاجتماعية لدى الطالب قلنا سابقاً بأن القيم لا ترتكز على حقائق ثابتة أو معايير مطلقة والقيمة تقاس بما تقدمه من مساعدة للفرد لتكوين علاقة جيدة وفعالة مع العالم ومع مجتمعه والقيم في تغيير مستمر وقيم عهد سابق لا تصلح في الزمن الذي نعيشه ومن هذا المنطلق يمكن القول أن المدرس ايضاً في " مجتمع متغير لا يجب عليه أن يعلم القيم ،وإنما يجب عليه ان يساعد الطفل على اكتشاف القيم بنفسه ".(احمد،ب،ت،ص٤٩٦)(Ahmed ,p 469)

وقيمة الدروس في العملية التربوية والتعليمة لدى ديوي " بمقدار ما يبرز المواد والعمليات التي جعلت الحياة الاجتماعية على ماهي عليه .وقيمة العلم إنما تنشأ من أنه يمنح القدرة على تفسير الخبرة السابقة وضبطها ،ويجب أن يقوم العلم لا على أنه مادة دراسية جديدة بل على أنه موضح للعوامل التي سبق أن تدخلت في الخبرة الماضية ،وعلى انه يزودنا بالادوات التي بها يمكن تنظيم تلك الخبرة بشكل أسهل وأوقع ".(احمد،ب،ت،ص٤٩٦) (Ahmed ,p 469)

أن تقييم المواضيع والمواد الدراسية في التربية والتعليم يكون بشكل ذاتي ونسبي من جهة نظر ديوي ، لأن " ليس في مقدورنا أن نضع نظماً مدرجاً لقيم الموضوعات الدراسية ،ومن العبث أن نرتبها فيما بينها درجات مبتدئين بأدنى الموضوعات قيمة ومنتهين بأعظمها قيمة . فكلما كان الموضوع ذا وظيفة فريدة في الخبرة لا يمكن تعويضها ، وكلما كان له أثره الخاص في إثراء الحياة ، كان ذا قيمة ذاتية لا تقاس بغيرها "(ديوي،١٩٤٥،ص٢٥٠) (Dewey,1945, p250). واعتبر ديوي اي محاول لتوزيع قيم معينة بين مختلف الموضوعات الدراسية انما هي محاولة طائشة بالرغم مما انفقته المربون في السنوات الأخيرة من وقت في هذا السبيل ويضرب لنا مثال لاثبات هذه النتيجة ويقول : " العلم فقد تكون له شتى انواع القيم تبعاً للأوضاع التي يتخذ فيها وسيلة . فقيمته قد تكون عند بعض الناس حربية اي اداة لتقوية وسائل الهجوم والدفاع ، أو فنية أو صناعية اي أداة للأعمال الهندسية ، أو تجارية أي أداة لتسيير الأعمال التجارية تسيراً ناجحاً ، أو قل إن قيمته

قد تكون هي ظل بعض الظروف خيرية من حيث ما توديه من الخدمات في تخفيف آلام البشرية ، أو قد تكون في آخر الأمر تقليدية أي من حيث فائدته في توطيد مركز الفرد الاجتماعي كرجل " مثقف " والحق أن العلم يفي بهذه الأغراض جميعاً ، ومن التعسف أن نتقيد بواحدة منها على أنه هو الهدف " الحقيقي."(ديوي،١٩٤٥،ص٢٥٠) (Dewey,1945, p250)

فينبغي على منظرين التربية ان يجزموا على أن هدف وغاية العلم هي " أن يُعلم بحيث يكون غاية قائمة بذاتها في حياة الطلاب – أي شيئا ذا قيمة راجعة الى ما يهبه للخبرة في الحياة من ذخيرة فريدة صادرة من طبيعة العلم نفسه "."(ديوي،١٩٤٥،ص٢٥٠) (Dewey,1945, p250)

وقيمة اي موضوع في المنهج الدراسي للطلاب بما تتوفر فيه من القدرة على تقوية وتحريك نشاط الطلاب ،وأن تمده بفائدة عملية في حياة الطالب وكل موضوع يكون بمثابة اداة تساعده على تطوير نفسه ومجتمعه وعلى ذلك فأن الاشخاص الذين يضعون المناهج والمعلمين الذين يقومون بتدريس المنهج يكون هدفهم الاساسي والجوهري من التعليم هو بأن أي فكرة دراسية او موضوع في المنهج يجب ان تتوفر فيه شرط هام هو " ما يمد حياة الطلاب بثروة مباشرة ، فضلاً عما يقدمه لهم من المواد التي يستطيعون الانتفاع بها فيما يشغفون به من شؤونهم الاخرى شغفاً مباشراً (ديوي،١٩٤٥،ص٢٥٠)(Dewey,1945, p250).

واعطى ديوي لجميع الدروس قيمة تربوية وعلمية فلا فرق بين درس ودرس آخر لان كل درس له قيمة مستقلة عن القيمة الموجودة في درس آخر لذلك حث على وضع منهج مختلف للدروس يحقق غايات متفرقة التي ينبغي الوصول اليها ،وأن مختلف الدروس يمكن أن تقوم تبعاً للغاية المنشودة ،وقال ديوي في هذا الأمر " إن الذاكرة تدرب بجميع الدروس ولكن على الأكثر في درس التاريخ ، أما الذوق فيدرب بالدراسة العالية للغات والادب الانكليزي خاصة ،واما المخيلة فتهذب بكل تعلم عال للغات والبشر الاغريقي واللاتيني خاصة . وتدرب الملاحظة بالعمل في المختبر وإن كان يمكن شحذها قليلاً بالدراسات الأولية اللاتينية والاغريقية ،وأما قوة البيان فتؤخذ بالانشاء الأغريقي واللاتيني قبل كل شيء ثم بالانشاء الانكليزي أو أما التفكير المجرد فتكاد لا تنهض بتدريبه إلا الرياضيات وحدها ، على حين أن التفكير المحسوس يدرب بالعلوم أولاً ثم بالهندسة ،وعلى حين أن التفكير الاجتماعي يدرب بقراءة كتاب مؤرخي الأغارقة والرومان وخطبائهم أولا ثم بدراسة التاريخ العام بعد ذلك (ديوي،١٩٤٥،ص٢٥٤) (Dewey,1945, p254).

وضع ديوي حاجات التلميذ وفعالياتهم هي محور القيمة التربوية واساس هام لاختيار المادة التي تكون جزءاً من المنهج وهي : الاساس ايضاً لاثارة نشاط التلاميذ ودفعهم الى العمل عن رغبة واهتمام ،وبذلك يجب أن يمثل الهدف دائماً إطلاق هذه الفعاليات التي تكون لدى التلاميذ وتحريرها ، فإن الانسان عندما يضع نصب عينيه هدفاً يرمي الى تحقيقه فإن يسعى بكل ما أوتي من وسيلة الى تحقيق هذا الهدف . ولذلك يسمح بتعبئة جميع إمكانياته الفكرية والانفعالية والجسمية لاستغلال الوسائل المختلفة التي تؤدي الى تحقيق هذا الهدف (النجيحي،١٩٩٢،ص١٠٥)(Al Nijehey,1992, p105).

ونقد ديوي التعليم بالقصص الخيالية والاساطير والرموز على أنها ادوات لتقوية القدرة الخيالية فهي ادوات وافكار ليس لديها أي قيمة تربوية تذكر بل بالعكس هي طرق تدني من مستوى التعليم بل ستجعل مجرد " حشد المعلومات واكتساب ضروب من المهارة الاختصاصية اكتسباً عارياً من الخيال" (ديوي،١٩٥٤،ص٢٤٥،ص٢٤٦) (Dewey,1954,p245,p246).

وعلى ذلك قرر ديوي " أن القيم لا طائل من ورائها إلا إذا ترجمت الى ممارسات وعمل وأنها تنبع من دوافع الافراد وأن مهمة اكتشاف هذه الدوافع من اختصاصات علم النفس وغيرها من العلوم التجريبية " (احمد،١٩٨٣،ص٧٢)(Ahmed, 1983,p72).

وكل الافكار التربوية القيمة ، يجب أن تكون ادوات تترجم في العمل " لخدمة الحياة أي الحياة في مجمع راهن معين"(عوا،١٩٨٦،ص١٧١)(Alawa,1986,p171).

والقيم التربوية ترتكز على اسس العلاقات الطبيعية في صلات الناس بعضهم ببعض في المجتمع المشخص وما الخير مثلاً سوى ما يخدم غايات الجماعة ومطالب الفرد فيها(عوا،١٩٨٦،ص١٧١)(Alawa,1986,p171).

اذن هدف ديوي تغيير المفاهيم السائدة للقيم التربوية التي كانت عبارة عن أفكار موجود في الفكر او في المجال النظري ، فأراد الخروج من نطاق الفكر الى التطبيق او العمل للوصول الى الخير الذي يعم المجتمع بأكمله.

وعلى ذلك فالقيم التربوية تعود الى المجتمع الذي يعيش فيه الافراد وأنها من " صنع المجتمع وحاجات الافراد" (احمد،١٩٨٣،ص٦)(Ahmed,1983,p6).

وركز ديوي على القيم التربوية الاجتماعية للتأكيد على دور وأهمية المجتمع وقد أسماه بالذكاء الاجتماعي ويعني به القدرة على الملاحظة واختيار المواقف الاجتماعية المتعددة وفهمها والعمل بها من اجل الحصول على القوة الاجتماعية لتحقيق اهداف وتطلعات المجتمع.

أراد ديوي أعداد وتهيئة الطفل للمستقبل وعلى ذلك جعل للقيم التربوية لها اهداف وغايات مستقبلية وليس اهداف وقتية ، فقال " التربية اعداد وتجهيز لشيء هام يحدث في المستقبل فتكون مرحلة الطفولة اعداد للحياة الناضجة التي تعد بدورها اعداداً لحياة اخرى ، لا تهتم التربية بالحاضر وإنما بالمستقبل يتم طلب العلم والمعرفة والمهارة حتى يتم استخدامها في المستقبل والتمتع بها ،ونغرس فيها الشيء العادات المطلوبة كجملة مواطناً صالحاً في المستقبل"(ديوي،٢٠١٠،ص١٥٩)(Dewey,2010,p159).

وتتكون القيم التربوية في ميدان التربية التي تعمل على تكوين الافكار والعمل على اساسها وملاحظة الاحوال الناتجة في هذا العمل ،ومن ثم القيام بتنظيم الحقائق الناتجة عن الافكار لاستخدامها عملياً استخداماً صحيحاً في المستقبل.

من هذا المنطلق يمكن القول ان المعيار الحقيقي للقيم التربوية عند ديوي هو معيار النتائج او النجاح أي الثمار التي تحملها النتائج التي تؤدي واقع او تصف موقفاً نستطيع أن نسلك على أساسه ونحقق النتائج المتوقعة.

اذن القيم التربوية لا تتحقق ولا يكتمل وصفها بأن لها قيمة تربوية إلا في مجال الخبرة وهذا ما سوف نتحدث عنه في المبحث الثالث بعنوان القيم بوصفها منفعة خبرة .

المبحث الثالث

القيم بوصفها منفعة خبرة

سمي ديوي بفيلسوف الخبرة ويقصد بالخبرة هي تفاعل الفرد مع البيئة الاجتماعية فيكتسب من هذا التفاعل العادات والتقاليد واساليب التفكير والمثل العليا والمطامح وغير ذلك ،وعندئذ يصبح الفرد " حاملاً" لهذه الاساليب والمعايير، و "ناقلاً" لها من حياة راهنة الى حياة مقبلة ليتيسر للمجتمع الاستمرار والدوام والتجدد واكتساب الفرد الخبرة بالحياة الاجتماعية(الاهوائي،١٩٥٩،ص٤٤)(Al Ahwani,1959,p44).

لابد للقيم التربوية ان يكون لها معياراً واقعياً لدى الانسان ، أكثر من افكاراً رمزية يتلقاها من المعلم دون فهم معناها الوقائع حتى الفهم والمعرفة فالانسان يحصل على أكبر قدر من القيم التربوية من خلال الخبرة ، فالتطبيق العملي ضروري في النظريات التربوية على أرض الوقاع واختبارها عملياً ، فكلما اعطتنا فائدة كانت لها قيمة واتاح الفرصة للانسان لامتحان افكاره بالتطبيق والهدف من ذلك كسر الفاصل بين ما يرغبه الانسان ومرضاه الأخرين فيقول ديوي في هذا الامر " يحاول المربون اخذ الايثار بأعتبارها معياراً للقيم الاخلاقية أمراً رمزياً لا يفهم معناه الواقعي حق الفهم والسبب في هذا ان " معرفة" انما هي معرفة يتلقاها من الناس أن هي الا عرفانه ان الاخرين يقدرون الايثار أعظم التقدير ،وأنهم لا يحترمونه الا بقدر تجلى هذا الايثار في أعماله ، وبهذا تنشأ الشقة بين المعايير التي ينتحلها والمعايير الحقيقة وقد يحس المرء بنتائج هذا الصراع بين ميوله الخاصة وآرائه النظرية ، فيتألم لهذا النزاع بين ان يعمل بما هو عزيز عليه أو أن يعمل بما يعرف أن فيه مرضاهُ للأخرين "(ديوي،١٩٥٤،ص٢٤٥)(Dewey, 1945, p246).

وحل هذه المشكلة هي وضع ديوي علاقة متينة بين التربية والخبرة ولا يمكن الفصل بينهم في العملية التربوية والهدف من وراء ذلك ابعاد العملية التربوية من كل شكليات المواد والدراسية وطرق تدريسها في المدرسة والوقوف في وجه اساليب القسر الرمزية للقيم التربوية وايضاً عن اقحام المعلومات في ذهن المتعلم دون مراعاة لميوله وقابلياته واستعدادته (ديوي،١٩٥٤،ص٢٤٦)(Dewey, 1954, p246).

وعلى ذلك عبر ديوي في تعريف موجز له عن الاساس الخبرة للتربية قائلاً : " أن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة ، الذي يزيد في معناها وهي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية "(ديوي،ب،ت،ص١٣)(Dewey ,p 13).

ويستخلص من قول دوي ان الخبرة هي القاعدة التي تبنى على اساسها كل تربية والتربية هي تشكيل جديد وتكوين متجدد للخبرة ، بفضل هذا التجدد تزدات قدرة التربية على توجيه الخبرات اللاحقة (الجديدي،٢٠٠٤،ص٢٣٦)(Jdadi,2004,p236).

والخبرة هي التي تجعل الانسان ان يجمع بين " العالم الذي يعيش فيه وبين القيم التي توجه سلوكه ،وبذلك تتوحد الشخصية الانسانية ويتوحد الدافع والسلوك وكفاءة على توجيه سلوكه وتحديد مصيره "(النجيحي،١٩٩٢،ص١٦٠)(Al Nijehe, 1992, p160).

والخبرة تنمو وتزداد عن الفرد عن طريق التفاعل ومعنى ذلك أن " التربية في جوهرها عملية اجتماعية وتتناسب قوة الصفة الاجتماعية مع قوة ارتباط الجماعة التي يكونها الافراد "(ديوي،ب،ت،ص٥٣)(Dewey,p53).

الخبرة التي تزودها المدرسة ينبغي أن تتميز اولا بما يُعين الفرد على زيادة قدرته التنفيذية في استغلال موارده واجتياز مصاعبه اي على زيادة كفايته وثانياً بما يجعله اجتماعياً اي راغباً في صحبة الآخرين والاتصال بيهم اتصالاً مباشراً ،وثالثاً بما يهيئ التذوق الفني اي القابلية على تذوق الفنون الرفيعة أو على الاقل تذوق الآثار الخالدة منها ،ورابعاً بما يدرب على أسلوب التفكير اي الاهتمام بضرب من ضروب الاعمال العلمية وخامساً بما يذكي فيه الحساسية لحقوق الآخرين ومطالبهم أي الشعور بالواجب . على أن هذه الاعتبارات ،وإن لم تكن معايير للتقويم ، فإنها مقاييس نافعة للتعرفة على مادة التعليم واساليبه القائمة ثم نقدها وتنظيمها "(ديوي،١٩٥٤،ص٢٥٣،ص٢٥٤)(Dewey,1954,p254).

وايضاً يتم الخير والحق والجمال من وجهة نظر ديوي تأتي للانسان بالخبرة أثناء التربية ، فالانسان " يتعلم النظر الى بعض المناقب كالآمانة والمثابرة والاخلاص فيعدها قيماً خلقية ،ويتعلم النظر الى روائع الأدب والتصوير والموسيقى فيرى فيها قيماً جمالية ، بل يتعلم فوق ذلك قواعد هذه القيم : فللأخلاق قاعدتها الذهبية ،وللفن قواعده من تلاؤم واتزان وتناسب ،وللأعمال الفكرية قواعدها من تجديد ووضوح ونظام " (ديوي،١٩٥٤،ص٢٤٣،ص٢٤٤) (Dewey,1954,p244,p243).

كما عرف ديوي القيم التربوية على أنها أمور أنسانية وتنبع من صميم الحياة التي يعيشها الانسان على ظهر الارض ، لأن الانسان منذ الولادة له " ميلاً الى الحركة والنشاط تواقاً الى المرفعة والكشف الى الحقائق والاسرار ،وليس خاملاً سلبياً يتلقاها وكفى ، والاطفال بأعتبارهم كائنات حية ناميه ، ينمون متفاعلين مع البيئة ويكتشفون أنفسهم للحياة فيها ويعملون للسيطرة عليها "(ديوي،١٩٦٣،ص٢٩٤)(Dewey,1963,p294).

اذن فواقع الانسان عند ديوي ، هو حصيلة ما يُضاف إليه من ضروب تفاعل الانسان مع العلم الطبيعي "(ديوي،١٩٧٠،ص٢٦١)(Dewey,1970,p261). و بتعبير آخر الواقع الانساني هو الاتصال المباشر للخبرة المكتسبة او التجربة التي تضم الحالات الخاصة من التفاعلات داخل إطار موكب واحد ،والمعرفة نفسها فعل يعدل ما هو قائم تنبعث من نتائج هذا التعديل ،فليست المعرفة خاضعة للظروف الخارجية، بل هي فعل ايضاً موجه بما فيه من قصد وغاية أي بما فيهمن ذكاء يتجه الى عواقبه "(قنصوة،٢٠١٠،ص١٥) (Qunswa,2010,p15).

أكدنا تكراراً ومراراً ان الخبرة تصبح خبرة حين يكون لها قيمة بما تمده لنا من أفعال تجعلنا في أعلى درجات الحيوية والنشاط ولا يكون لها قيمة عند انعزال المرء في نطاق مشاعره واحاسيسه الخاصة على اتصاله بالعالم اتصالاً فعالاً وواعياً ،وتصل الخبرة في ذروتها القيمة في تداخل الذات مع عالمها او الواقع التي يعيشها الذات البشرية .

من هذا المنطلق يمكن القول أن الخبرة في اساسها فاعلة ومنفعلة معاً وأن قيمة الخبرة هي بما تؤدي اليه من ادراك للعلاقات أو الواحق من الخبرات التالية لأن التعليم بالخبرة هو ايجاد علاقة سابقة ولاحقة بين ما تحدثه للاشياء وما تتمتع به ونعانيه من الاشياء من وراء ذلك (ديوي،١٩٥٤،ص١٤٦) (Dewey,1954,p146).

فالاستمرارية في الخبرة والتواصل بين الخبرات السابقة واللاحقة ستكمن الفرد من الحكم واستخلاص النتائج لأن المرونة او قابلية التعلم من الخبرة تعني تكون عادات والعادات تمنح السيطرة على البيئة والقدرة على استغلالها لتحقيق غايات بشرية" . (ديوي،١٩٥٤،ص١٥٥) (Dewey,1954,p155).

ويمكن القول أن القيم التربوية في اساسها هي " العادات والخبرة الهادفة ". (احمد،١٩٨٣،ص٦) (Ahmed,1983,p6) وليس هنا " قيم خيرية قصوى ولا شرية مطلقة ، بل هنالك عدة مواقف وكل موقف يتسم بخيرية أو شرية لاتتشابه مع الموقف الآخر"(احمد،١٩٨٣،ص٥)(Ahmed,1983,p5).

وعلى هذا الاساس تكون القضية الاساسية التي تستند عليها القيم التربوية هي الخبرة فيقول ديوي" ان قضية القيم ومعاييرها ليست في آخر الأمر الا قضية خلقية متعلقة بتنظيم مصالح الحياة ،وهي من ناحية التربية إنما تعني بتنظيم المدارس والمواد والطرق المدرسية تنظيماً يوسع الخبرة ويغنيها "(ديوي،١٩٥٤،ص٢٥٨)(Dewey,1954,p258).

اذن فالقيم التربوية عند ديوي تهدف الى جعل الانسان الامريكي له القدرة على أكتساب اكبر عدد من الخبرات المنطقية والخلقية والجمالية لكي يستطيع ان يكون موطن صالح في المستقبل وتخطي كل المصاعب في حياته وله القدرة على حل المشاكل التي تواجههُ بطريقة صحيحة.

وعلى ذلك فالقيم التربوية لها معنيين عند ديوي " فالمعنى الاول يقوم بتقدير الشيء واعتباره مستحقاً للاهتمام من حيث هو أي من أجل ذاته وهذا ما نسميه بالخبرة التامة الكاملة فتقويم شيء على هذا المعنى هو تقديره . أما المعنى الثاني فيقوم على عمل فكري متميز اي عمل موازنة وحكم اي انه يقوم على وضع قيمة له"(ديوي،١٩٥٤،ص٢٥٩) (Dewey,1954,p259).

ومن خلال كلامنا يمكن القول ان ديوي اراد تقسيم الدروس في المنهج المدرسي الى دروس ترفع من ذات الانسان ليكون له دور في المجتمع اي لها قيمة ذاتية ودروس ذريعة ووسيلة تُعلم وتُدرس وتُدرب الانسان للوصول الى قيم وغايات ابعد اي قيم لها خبرة وغايات مستقبلية.

الخاتمة

يعد إن بحثنا في اراء ديوي عن القيم التربوية استطعنا الخروج بخلاصات أهمها :

١. انه في ارائه للقيم التربوية جعل من القيم التربوية نسبية فاللوائح التربوية الكبيرة والصغيرة ليست دائمية بل يجب ان تتغير كما تتغير الثقافات والمجتمعات ،وليس معنى هذا بأن ديوي نادى بأن القيم التربوية يجب أن تتذبذب من شهر الى شهر ، بل معناه انه ما من تعليم او نظام تربوي معين ينبغي اعتباره ملزم بصورة كلية شاملة بصرف النظر عن الظروف التي تطبق فيها هذه التعاليم ،ومثال على ذلك العبارة التربوية " لا تقتل" ليست مبدأ مطلقاً ، ففي وقت معين يكون في القتل الصواب ودفاعاً عن النفس او انقاذ لحياة شخص آخر. و ينبغي ان يتربى ويتعلم الطفل كيف يتخذ قرارات تربوية واخلاقية صعبة دون الرجوع الى مبادئ وقيم جامدة موصى بها ، بل عليه اختيار المسار العلمي الذي من شأنه أن يأتي بأفضل منفعة للبشر.

٢. أكد ديوي على اختيار جدوى قيمنا على نحو ما نختبر صدق افكارنا على الواقع العلمي الذي نعيشه ، أي كل فكرة لها قيمة عندما تتطبق عملياً ونفعياً وتعطي نتائج نافعة للانسان ومجتمعة . وبذلك يجب أن ننظر في مشكلات الأحوال البشرية بأسلوب علمي ونختار قيم تربوية التي تبدو الارجح على حل المشاكل التربوية والتعليمية والرفع من شأن التربية والتعليم وارد ديوي الخروج من نطاق الفكرة الى العمل للوصول الى الخير الذي يعم في المجتمع.

٣. جعل ديوي للقيم التربوية غايات مستقبلية لأن التربية عنده هي إعداد وتهيئة الطفل للمستقبل فينبغي علينا تربية الطفل على تنظيم الحقائق الناتجة عن الافكار التربوية لاستخدامها عملياً وصحيحاً في المستقبل أذن فالمعيار الحقيقي للقيم التربوية هي معيار النجاح.

وعلى ذلك فأن القيم التربوية لا تحقق ولا يمكن وصفها بأنها قيم تربوية إلا في مجال الخبرة والاساس الذي تستند عليه القيم التربوية هي الخبرة ،وعلى المربي ان يُعد التلميذ للخبرة التي تناسبه وأن يجعل منها حلقه من سلسلة الخبرات التي يمر بها ، فليست هناك خبرة تبدأ أو تنتهي مستقلة بذاتها ، فالخبرة التربوية هي التي تترك أثراً مثيراً فيها يتلوها من خبرات مستقبلية.

References

- Yens, Majdi Mohammed(2005). History of Education thought, Al riyadh:Al rushd library.
- Badawi, Abdbul Rahman (1929H). Ecycopeadia philosophy. 2 nd .Qum:relatives.
- Dewey, John (2001). Individuality in the past ad present.transgeted by khayrimad, revised by Marwan Aljabiri , edited by Dr Mohammad Anati , cairo :integrated care Association.
- Wright, Wiliam Kli (2010). History of modern philosophy, translated by Mahmoud Sayid Ahmaed, presented and edited by Iman Abdul Fatah imam , isted.Bierut: Al tanweer.
- Birham, zakariya(1698). Studies in contemn porary philosophy. sited. Cairo: Darrulmaarif.
- Cabelston, Fredrik(2009). Thehistory of philoso phy,(8 th book from Banam torussell) translated by Mahmoud Sayid Ahmed, presented Byimam Abdul Fatahimam. Isted cairo: the national center for translation.
- Basyuni , Mahmoud (2016). Philosophers have changed the course of history . 2nded.caro : Al raya centre.
- Ahmed, Saad Muris(1988) the Development of educational thought. Caro : the word of books.
- Dewey, john (1594). Democracy and education , translation: Dr Matti Agrawi and Zakariy Michelle, Cairo: Editing , translation and publishing committee.
- Raheem, Ahmed Hssan (1977). Philosophy, education thought. Alnajaf al ashraf : Alaadab press.
- Dewey, john (1964). School and society. translated by Ahmed Hassan Al rahem. Beirut life library press.
- Alshimari, Abdul Ameer Saaed (2008) . the American philosophy (pragmatism of john Dewey in thought and action). Baghdad : Darrul sanoobar press .
- Nasir, Mohmmad (1977). Readings in education oral thought . is part . Kuwait : publication agency.
- Al hayari , Hassan ahmed(1997) the secrets of existence and their edyctionl implications. Irbid : anal press.
- Ahmed, lutfi Barakat (1983). Values and education. isted. al Riyadh: Mars press.
- Mohammod, Zakinajeeb(1982) . Thought life in the new word , 2nd ed . Beirut : Al shurooq press.

- Hamooda, Nabeeh Mahmoud (1980) . Philosophical detail of education . cairo : fyption angelopress.
- Qunswa, salah , (2010). The theory of values in contemporary thought. Beirut : altanweer press.
- Dewey, john(1963) Human nature and human behavior. Presented antranslated by Dr Mohammad Labeeb al Nijehi. Cairo : al knanji corporation.
- Alnjiehi, mohammad labeeb(1992) . An introduction in education al philosophy. Biera ut : Alnahdha al Arabiy press.
- Dewey, john(1970) . translated by Dr Ahmed Fuaad Al ahwani , Cairo : leas al Baabi al Halabi.
- AlDuri , Ali Aussan (2009). The principles of education it modern concept. 1 sted . jorden : Ithraa for publishing and distribution.
- Al Ahwani ,Ahmed Fuaad (1959) . john Dewey . Egypt : Almaarif press.
- Al Awa , adi l(1986) . the mayor in the philosophy of values.1 sted . Damascus : talas press.
- Dewey , john (2010) . rebuilding philosophy. Presented and translation by Ahmed al Ansari, revised by Hassan hanafi. 1 sted. Cairo : the national center for translation.
- Dewey, john (experience and
- Education. Translated by Mohamad Rifaat Ramadhn Najeep iskandare .Egypt : Egyptian Angelo library.
- Jdaydi , Mohammad (2004). Experience philosophy as (john Dewey amodel) tunisi: university foundation for studies, distribution and pubishing.

المصادر

- يونس،مجدي محمد ،(٢٠٠٥) تاريخ التربية والفكر التربوي ، ، الرياض ، مكتبة الرشد.
- بدوي، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج١ ، ذوي القربى ،قم ، ط٢ ، ١٤٢٩ه.
- ديوي ،جون ، الفردية قديماً وحديثاً ، ترجمة : خيري عماد ،مراجعة مروان الجابري، تحرر : د.محمد عناتي ، جمعية الرعاية المتكاملة ، مصر ، القاهرة ، ٢٠٠١.
- رايت، وليم كلي ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة : محمود سيد أحمد ، تقديم ومراجعة : إمام عبد الفتاح إمام ، التنوير ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠.
- ابراهيم ،زكريا براهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة ،دار المعارف ، ط١ ، ١٩٦٨.
- كوبلستون، فردريك ، تاريخ الفلسفة ، المجلد الثامن من بنتام الى رسل ، ترجمة : محمود سيد أحمد وتقديم : أمام عبد الفتاح إمام ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- بسيوني، محمود (٢٠١٦)، فلاسفة غيروا مجرى التاريخ، ط٢، القاهرة ، مركز الراية.

- احمد، سعد مرسي(ب،ت)تطور الفكر التربوي،القاهرة ،دار عالم الكتب.
- ديوي،جون(١٩٦٤)، المدرسة والمجتمع ، ترجمة:احمد حسن الرحيم،بيروت :دار مكتبة الحياة.
- ناصر،محمد (١٩٧٧) ، قراءات في الفكر التربوي، ج١،الكويت،دار وكالة المطبوعات.
- ديوي جون،(١٩٥٤) الديمقراطية والتربية ،ترجمة، د.مشي عقراوي وزكريا ميخائيل، القاهرة:اللجنة التاليف والترجمة والنشر.
- رحيم،احمد حسن، (١٩٧٧) ،الفلسفة، التربية والحياة، النجف الاشرف ، مطبعة الاداب.
- الشمري، عبد الامير سعيد، (٢٠٠٨). الفلسفة الامريكية (براجمانية جون ديوي في الفكرة والعمل، بغداد: مطبعة دار الصنوبر)
- الحياري، حسن احمد ،(١٩٩٤). اسرار الوجود وانعكاساتها التربوية،اربد :دار الامل.
- احمد، لطفي بركات (١٩٨٣)، القيم والتربية ،ط١. الرياض دار المريخ.
- حمودة،نبيه محمود(١٩٨٠)، التأصيل الفلسفي للتربية، القاهرة : مطبعة الانجلو المصرية.
- محمود، زكي نجيب(١٩٨٢)،حياة الفكر في العالم الجديد ،ط٢،بيروت:مطبعة دار الشروق.
- قنصوه،صلاح (٢٠١٠) نضرية القيم في الفكر المعاصر، بيروت : دار التنوير للطباعة .
- ديوي، جون(١٩٦٣)، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، ترجمه وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي. القاهرة :مؤسسة الخانجي للطباعة.
- النجيحي، محمد لبيب، (١٩٩٢) .مقدمة في فلسفة التربية . بيروت: دار النهضة العربية.
- ديوي، جون (١٩٧٠)، البحث عن اليقين ترجمة: د.احمد فؤاد الاهوائي، القاهرة:عيسى البأبي الحلبي.
- الدوري، علي حسين(٢٠٠٩) ، اصول التربية في مفهومها الحديث ،ط١،الاردن: اثراء للنشر والتوزيع.
- الاهوائي، احمد فؤاد،(١٩٥٩)جون ديوي.مصر: دار المعارف .
- العوا،عادل(١٩٨٦). العمدة في فلسفة القيم،ط١.دمشق :دار طلاس.
- ديوي، جون(٢٠١٠) اعادة البناء في الفلسفة . ترجمة وتقديم احمد الانصاري،مراجعة حسن حنفي، ط١، القاهرة :المركز القومي للترجمة.
- ديوي، جون(ب،ت). الخبرة والتربية ،ترجمة محمد رفعت رمضان ونجيي اسكندر.القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، مصر ،ب،ت
- جديدي،محمد(٢٠٠٤). فلسفة الخبرة نموذجا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، والتوزيع .